

المرأة الشاعرة

Imaginative Woman

للقصصى الانجليزى توماس هاررى

بقلم الأديب نظمى خليل

للشعر حُسن ، بل وللحياة
أيضاً . فكانت إذا ما خلعت
إلى نفسها تفكر فى ذلك
الزوج وفى ثروته الطائلة ،
وفى قيمة هذه الثروة لها .
وكانت فى كل مرة تعود بمد
ذلك التفكير الطويل بالألم
والاشفاق على هذا الزوج
الذى لم يعرف قط ذلك الجو
الشعرى الجميل ، جو

المواطن والخيال الذى كانت تطلق فيه مشاعرها
المكبوتة وأحلامها العذبة تخلق فى ساعات خلوتها
وهدهوها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف
على البحر ، وقد أحيط بمحديقة شجراء فينانة ؛
فاستقباهما صاحبة المنزل وأخذت يتحدثان عن
ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ ، وعن
وسائل الراحة التى تمدها الكل من يقيم فى منزلها .
فأعجبت مرس مارشمل بالمنزل ، ولكنها أرادت استئجار
كل الغرف ، فخاب أمل المرأة فى كسب هؤلاء
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشتههما شاب
رقيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن
يتركها ، ولكنها تمتعت قائلة : لا بأس ، ربما يخلى
اسكاهاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن
صاحبها الشاب قد رضى أن يخلى لهما الغرفتين مدة
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشمل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن
نزعجه فى مسكنه »

انتهى « ولهم مارشمل » من البحث عن
مسكنه الصيفى فى إقليم « سوانتس » فى جنوب
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجته
وأطفاله فى انتظاره بعد أن قضوا سحابة اليوم فى
الهدو واللعب . وكانت الأم منصرفه إلى قراءة الشعر
كمادتها ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً
وأفاقت من ذلك الحلم الجميل الذى كانت غارقة فيه
وقالت : إني أود أن تسكون قد وفتت هذه المرة إلى
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا فى هذا
الفندق . فأجابها زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف
ضيقة وأخشى ألا نجد فيها ما نريد . هل لك أن
تصحبينى إلى ذلك المنزل الذى رأيته اليوم ؟ ثم خرجا
مما تاركين أطفالهما الثلاثة فى رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين فى الزواج
والشرب ، فقد قضى الزوج حياته فى صناعة الأسلحة
ونشأ فى جو صناعى بحت ، بعيداً عن جو العاطفة
والخيال الذى عاشت فيه زوجته الشاعرة ، فلم يكن
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترمح
إلى أعمال رجل مثل « مارشمل » . إنها ليست عدوة

في ذلك الجو المكتئب المكفهر الذي أصبحت
تشم فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية

وتشاء الظروف أن يقترن اسم هذه السيدة
باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى
عقب فاجمة مؤلة اهتت لها عواطفها الشاعرة
فأوحت إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدثتين
في الروح والماطقة كأنهما فاضتان نبع واحد، حتى
أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمجبا
لذلك الاتفاق الغريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون
إيني» كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر في
الصحف بأعضاء روبرت ترو. لقد اتخذت ذلك
الامم لترضى رغبة كامنة في نفسها، وحتى لا يرتاب
الناس في صدق إيماءاتها إذا علموا أن هذه
المواطن الجياشة والشاعر القوية تفيض من قلب
امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم
ثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع
الشعر الحديث، بل كانت فرجة نقاب مكوم بأنس
قد ضاق بالحياة أو ضاقت هي به فلم يمد يدها فيها بين
أخس الطيائع البشرية وبين أرقاها. فكانت تلك
السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشم بخبيبة أليلة تحز
في نفسها لأنها لا تستطيع أن تحاق في ذلك الجو
الساى الذى يضرب فيه بجناحيه القويين.

ثم مضت بضعة أشهر نشر خلالها روبرت أول
دواوينه الشعرية فكان باكورة طيبة استقبلها
الشمب بشيء من التقدير مكنه من أن يكسب
نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح المتواضع
جون إيني على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المتناثرة
في كتاب واحد مؤملة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابته صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق
فهو شاب غريب الأطوار تراه دائماً حالماً مطرفاً
حزبناً يحب الوحدة ويتمشق الهدوء، وهو يحرص
على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس
له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر
القريبة كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء. وفي اليوم
التالى كانت أسرة السيد مارشمل تقيم في ذلك المنزل
الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يرتاض على
شاطئه الجميل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في
الحلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن
تجده من كتب وآثار في غرفة ذلك الشاب. فقد
رأت رفوفاً من الكتب الغربية النادرة قد تكسدت
بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها
لم يفكر قط في أن يدأ غربية ستمتد إليها. فقالت:
سأأخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لى أن
صاحبها مفرم باقتناء الكتب. هل يمكننى أن أقرأ
بعضاً منها يا مسر هو؟

— نعم، إنه أديب نائى وشاعر واعد، له
دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق
له طريقاً في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن.
ثم تناولت كتاباً فرأت اسمه في الصفحة الأولى
فصاحت متمجبة: «يا المصادفة! إني أعرف اسمه
حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره.
أهذه هي غرفته؟ وهل هو حقاً الذى أخرجناه منها؟
ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق الغريب.

لقد كان والدها أحد رجال الأدب البارزين فنظمت
في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعتها عواطفها
الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم
والزهر؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جميعها

في المربع الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع
الغرفة جيئة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني واسكني
مع ذلك لم أسبق به ولم أعصيه

كان هذا فاتحة الحديث عن ذلك الأدب
الواعد الذي أخذ يصمد مدارج الشهرة في وثبات
واسعة موفقة .

وفي ذات يوم جاءها صاحبة المنزل تلقت نظرها
الى شيء لم تنتبه إليه وهو آثار للكتابة بالقلم
الرصاص قد نقشت على ورق الحائط خلف الستار
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسر مارشيل
أن تحبس شعور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى
الغرفة ، وانحنت برأسها الجليل حتى كادت تلمس
الجدار . ثم أخذت مسر هور تشرح لها في أسلوب
المرأة المتمكنة من علمها الواقعة على جميع ما يحيط
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هي خواطره الأولى التي
سهو بعقله وهو نائم في فراشه ينقشها هنا خوفاً
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار
منشورة بعد ذلك في الصحف ولكن هذه الأسماء
لم تنشر بعد

فاحر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت
برغبة قوية خفية في أن تخلو الى نفسها . ولم تكذب
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرع
مسر مارشيل الى غرفة الشاعر وأخذت تنلو هذه
الأسماء في صوت موسيقى جميل حتى سكوت
أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات العلى

كانت الطبيعة في ذلك اليوم غاضبة ثائرة ، فلم
رد مسر مارشيل أن تصاحبه الى البحر الهائج الزبد .
أما هي فقد أخذت تضيق بتلك الحياة الرتيبة الثابتة ،
وتنفّر من ذلك الجو المألوف الثقيل ، إذ لم يعد

به روبرت من الأقبال والتشجيع ، ولكنها عادت
بصفقة المغبون ، فلم يتصد أحد لكتابها بالنقد
أو التقريظ ، بل لم يفكر أحد أن يعاق عليه أو أن
يشير إليه ولو في إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فسرطان
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست بجنين يضطرب في
أحشائها فانصرفت عن الأدب وتأهبت لاستقبال
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار في خاطر تلك المرأة التي
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار في غرفة ذلك
الشاب الذي ارتبطت به برباط روجي وثيق ، فنهضت
عن كرسيها وأخذت تجول في أنحاء الغرفة تنفّس
في كل ما تراه ، ثم دعت مسر هور تستفسر منها
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين
الغرفتين حتى في أيام سفره ، فإن جو هذا المكان
بلائم صدره . وهو يقضى وقته في القراءة والكتابة
لا يقابل أحداً ؛ وهو مع ذلك طيب القلب حلو
الحديث يتعنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— في طيبة القلب ورقة الشاعر !

— نعم . حتى أنني كثيراً ما أغريه على الخروج
من عزلته ، فيقوم برحلات قصيرة إلى باريس
أو الترويج ، ثم يعود يشكرني لأنه ذاق طعم
السعادة بسببي

— إنه رقيق الاحساس لا شك

— أجل وإن بدا في بعض الأحيان غريباً ، فقد
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده

فاحمر وجهها خجلاً وأسهرت إلى خلعها ، ثم
قالت لقد رأيتهما مصادفة هنا فارتدبتها لأسرى عن
نفسى ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائماً ؟
بعيداً دائماً ؟ حسن ! . . .

فلما جاء الليل ذهبت إلى مسر هوبر تفنتى
شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت
صاحبة المنزل : إنك تملئين كثيراً اسماع قصته .
لقد أرسل إلى خطابا اليوم يخبرنى أنه سيأتى غدا
لحاجته إلى بعض الكتب

هل يمكنك أن أبقى هنا عند مجيئه ؟
— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك
فشعرت يارثياخ خفى عند سماعها هذا الكلام
ومضت إلى فراشها تفكر في هذا اللقاء المرقوب
وفي صباح اليوم التالى قال لها زوجها : لقد كنت
أفكر يا (إلا) فيما حدثتني عنه من أنى أركك
وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق في هذا ،
ولكن الجو اليوم محو ، والبحر رهو ، والنسيم
رخو ، فهل لك أن تصحبينى إلى نزهة قصيرة ؟ ولأول
مرة شعرت (إلا) بعدم رغبتها في تلبية هذا
الطلب ، ولكنها لم تعان رفضها . ثم اقتربت ساعة
الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن
توقفت عن المضي في اللبس ، فان الرغبة في لقاء
ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر
الرغبات الأخرى ، فقالت في نفسها : (إنى لأستطيع
الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، فغضى وحده
كان المنزل هادئاً في ذلك اليوم ، فقد خرج
الأطفال إلى الخلاء يلعبون ويعرّحون ولم تعد تسمع
إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئ ، فرحة
بذلك اليوم المشمس الجليل . لقد سمعت الباب يقرع
ولكنها لم تر أحداً ، فلما نفذ صبرها نادى مسر

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئ ، متأبطة ذراع
زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التي أخذت
تشمربها كلما أوت إلى غرفة ذلك الشاعر المجهول .
لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها ، ثم حاولت
أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تترقق
في عينيها ، وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة
مغمورة بتلك المشاعر المذبة التي أوحى بها اليها
غرفة ذلك الشاب الذي لم تره قط
لم يمد قلب تلك المرأة بغنى على أوتار الحب
الأول ، ولم يمد زوجها بنظر اليها أكثر من رفيق
أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عامراً بالحب ،
جياشاً بالمواطف التي تتطلب غذاء وإلا ذابت
ومات . وأخيراً وجدت ذلك الغذاء في ذلك
الاتفاق الذي لم تكن تحلم به

عشر الأطفال يوماً على بعض ملابس ذلك
الشاعر فأسهرت مسر هوبر ووضعها في الصندوق
كما كانت . أما الأم فقد شعرت بشيء غريب
كتمته في نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعات
ما حانت ، فقد خرجت مسر هوبر إلى قضاء بعض
حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كما دأبهم كل
يوم ، فأسهرت الأم إلى الصندوق وأخرجت منه
حلة جميلة فارتدبتها ، ووضعت قبعتها العالية فوق
رأسها . ثم أخذت تخطر في مشيتها تسأل نفسها :
ألا نوحى لى هذه الملابس بما أوحى اليه من روائع
الفن ؟ لقد طالما خفق قلبه تحت هذه السترة ،
وطالما تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه
هذه القبة ؟ ثم ما لبثت أن شعرت بضعفها بجانبه
فمادت والدموع تكاد تطفّر من عينيها ، ولكنها
لم تكد تصل إلى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها
فصاح : ما هذا الجنون ؟

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك الرحلة التي تعتقد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيقضى أيامه في نزعة بحرية مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت المشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ . وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً مخيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشعرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدنو من الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أنفخ ثيابها وقامت إلى الأطوار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائعة ، وكان الشاعر لا يسأقبة عالية تأتي طلالاً رقيقة على جبينه . أما العينان اللتان وصفتها صاحبة المنزل فقد كانتا تشعان ألماً وبؤساً

انطرت إلى الصورة طويلاً ثم غمت في صوت هادي ، رقيق : « وهل أنت الذي كسف نوره القوى يرى هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغرو رقت عينها بالدموع ، ولست شفتها الصورة ، ثم مالبت أن تضحك ضحكة عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المريبة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس العواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هوبر وسألها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن الحى . اليوم لمدام حاجته القوية إلى المكتب . فإنا الحزن على قلب (إلّا) وبقيت وقتاً طويلاً سيبك لشى الانفعالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح العديدة) إذ كان الحزن قد جفف بناييع فرحها

— مسز هوبر . هل لديك صورة لـ . . . ذلك

الشاب الذى يقطن هنا ؟

وكان الخجل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه

— لماذا ؟ نعم . فى داخل ذلك الأطار الجليل

العلق فى غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة

— نعم . إنها فى داخل ذلك الأطار نفسه . لقد

اشتريته خصيصاً لصورته ولكنه جاءنى قبل السفر وقال : « إخفى صورتي عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن يتطلعوا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فإنه لا يغضب ؛ فلو أنه عرف أن الشخص الذى سيقوم فى غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حزيناً ألا يفكر فى إخفاء صورته — وهل هو رقيق ؟

— إنه رقيق فى نظري وإن لم يبد كذلك فى

نظر بعض الناس . ولكنى أعتقد أنه شخص قوى بأسير كل من يراه ، وفى عينيه ريق الذكاء ، وفى بدنه روح المبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟

— إنه يكبرك بسبع سنوات . أى أنه حوالى

الثانية والثلاثين

والحقيقة أن (إلّا) كانت فوق الثلاثين وإن

له برنامج آخر . لقد نعبت اليوم ولكنى مضطرب أن
استيقظ الساعة السادسة . سوف لأوقظك . فرفعت
اليه عينها بينما كانت يدها تمن في إخفاء الصورة
تحت الوسادة . فأخفى عليها وقال : أحقاً أنت
مريضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط

— لا بأس

ثم أخفى عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبلة
وفي الساعة السادسة استيقظ مارشيل وهو
بتنأب ويستمع بهذه الكلمات : لست أدري أى شئ .
كان تحنى هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينها فترأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى على

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تعنى ؟

— أرى صورة هنا

— أظها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إني أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فربما وقعت من يدي هنا

— إنه صدقك إذن

— إنه رجل ذكى وشاعر واعد وهو الذى

يقطن هاتين الغرفتين ولكنى لم أره

كيف عرفت هذا ما دمت لم تراه ؟

— مسز هوبر أخبرنى ذلك عندما أعطتنى

هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتركك الآن . إني

لا أستطيع أن أصحبك مى . راقبى الأطفال جيداً

حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مستر مارشيل يترك المنزل حتى أسرع

زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدنها في زوجها فلم تجدها . « إنه أقرب
الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عيني » . ثم ألقت
بالكتاب والصورة على منضدة صغيرة بجانب السرير
وأخذت تستميد بمض أشماره الوجدانية ثم
ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر
فيها وهي نائمة ، ثم التفتت إلى الأشعار المكتوبة
بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً
كأنها مذكرات « شبلى » . ثم شعرت أن أنفاسه
الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك
الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما تحيط برأسها الآن
لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك
بالقلم . نعم . إن الكتاب مائلة مما يدل على أن
الكتاب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر
حقيقة من الانسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي
الأفكار التي خاطرت في ذهنه في سكون الليل
العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر
لا تحشى نقداً ولا تنهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه
الكلمات قد كتبتها في عجلة على ضوء القمر الخافت
أو نور المصباح الخافت أو بصيص الفجر الأدكن . ثم
بدل شعرها حيث كان يضع ذراعه وهو يسجل
تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شففى الشاعر محاولة أن

تنغمس روحه وتشم أنفاسه خلال ذرات الأثير

وبينما هي غارقة في بحار هذه التأملات العذبة

اللذيذة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو

من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ،

هل بك صداق ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك

فأخفت الصورة في جركة غريزية سرية

وقالت : ما بى من صداق . كيف جئت الآن ؟

فقال : خفت أن أتأخر إلى الغد الذى أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيفي» من قبل فسيمنى بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيه فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فمزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً غليظاً لزوجها فكتبت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تفتتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، واتسحت الأرض برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بالباب فهولت إليه ولكن هالها أن وجدت صاحب المجلة وافقاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إلى آسف كثيراً أعدم محي ، روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا ممّا بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلمت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشال قبيل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وخافه قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إلى أحب هذا المكان

— ولكنني لا أجد فيه ما يغري بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إلى مضطر إلى العودة ثانية لأصحابكم إلى المنزل . وعلى كل فليدرك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها فعلت أن الشاعر يقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدي إليه ، فعادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبعث في قلبها فأمار جوانبه القاعة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع

ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت . وفي صبيحة يوم السبت ، كانت مسز مارشال وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفر آتقياً والجو خانقاً مكتئباً يبعث الضيق والضجر ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى الجزر المنثارة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل المغموم يتألف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الريني الجميل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبثه إعجابها وتسأله رأيه في بعض مقطوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب

« عزيزي : قبل أن يصلك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضجة التي ثارت حولي . لن أنقل عليك بسرد الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكنني أؤكد لك أنها وجهة مقنعة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حملت بتلك المخلوقة المشردة التي استوحيتها ديواني الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ؛ وأرى لزماً على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول عن نفسها ثم أسرع إلى فراشها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تنغم : « أواه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة ؛ لو أمررت يدي على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشعره بالحياة ، ولكنت أريه استمدادي للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيئ لي هذا ولم يتح لي أن أنعم في جننته

ثم قمت لساعتها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطالب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد بحمل خصلة الشعر ومكان القبرة

وفي أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تخفي شيئاً في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟ فتمتمت قائلة : لقد مات

— من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى إلى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

إحدى صحف المساء ، نال فيه كاتبه منه كثيراً ، وبما قرأته

— لا . إنه ليس جديراً بالتفكير فيه . فهو كثيره من مثات المقالات التي ينشرها أصحاب العقول القديمة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيراً بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجباً عليه أن يعرف أن هناك من يمطف عليه ويمجّب به — نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفي

— أيجب إيفي ؟ هل قال هذا ؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوماً

— ولا بشعره ؟

— لا ! !

وأخيراً أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى معبودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبههم لثما وضما

أما الناشر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوته إلا لقاء صاحبه ، فانصرف . وفي اليوم التالي نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتي :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذي عرفه الجمهور منذ سنوات شاعراً مطبوعاً ، وأديباً موهوباً في منزله في سوانتس بطلان تاري . إن الجمهور ليس في حاجة إلى تذكيره بديوانه الشهير « أغاني المرأة المجهولة » الذي نشره في العام الفائت ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالاً عنيفاً تناول فيه كاتبه بالنقد والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذي كان قد أعده لأحد أصدقائه وهو :

ولم يعض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ملقاة في فرائها لا تستطيع حراكاً . وقد ذبل جسمها وجفت ينابيع الحياة فيها . وفي الساعة الأخيرة قالت : « ولیم . إني أريد أن أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولنتس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، والسكنى كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني كفاءة وعقلاً بينما كان فوق قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمنى ...

ولكنها لم تحقطع أن تزيد حرفاً على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع الغيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بملاقاتها رجل مات

وفي نهاية العام الثانى بعد هذه الحادثة بينما كان مستر مارشال يبحث عن أوراق زوجها ليحرقها قبل أن يقرن بزوجه الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعاً وأحضر ابنه الصغير الذى كان السبب في وفاة أمه ووضعها على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفحصها ويقارن بينها وبين قسمة وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شامت أن تجعل الشبه قوياً . فصاح :

تعمساً لى . لقد خانتنى في هذا الطفل . دعنى أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخيراً صاح : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنتمسب إلى

نظمي خليل

حديث زوجه عنه والصورة وخصلة الشعر أيضاً . وفي أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكتبت ورقة صغيرة إلى زوجها تخبره أنها ذاهبة إلى مكان بعيد قد يستغرق منها يوماً ، ثم انطلقت كالريح إلى المقبرة . فلما جاء زوجها همست في أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن في حالة هادئة في الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفاً بمكانها ، فأسرع توجاً إلى المقبرة وهناك في غسق الليل أخذ يتلمس طريقه عليه يرى شبح زوجه ، وأخيراً ألمح بصيصاً من النور يشع من بعيد ، فسار إليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أنت ركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟ إني لا أغار من هذا التمس فقد أنهى الموت ما بينى وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أن تنطق الزوجة ببنت شفة

مضت على هذه الحادثة بضمة شهور ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر

أما إلا فقد كانت عاتياً تزداد سوءاً بعد سوء حتى جاء يوم المخاض فقالت :

— إني لا أعتقد أنى سأنجو هذه المرة
— فقال زوجها : أوه . ما هذا الميث ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ فقالت :
— إني أشعر أنى سأموت ، وسأترك فراغاً في قلوب أبنائى . فقال :

— وأنا ؟ فقالت :
— إنك ستجد من يخلفنى . فقال :
— ألا ترالين تفكرين في صديقك الشاعر ؟ فلم تجبه